رابعة بنت إسماعيل

هى رابعة العدوية الشامية زوج أحمد بن أبى الحوارى ـ كان أبو سليمان الدارانى أستاذه ـ

* كانت لرابعة أحوال شتى

يقول أحمد بن أبى الحوارى :

كانت لرابعة أحوال شتى فمرة يغلب عليها الحب .

ومرة يغلب عليها الأنس .

ومرة يغلب عليها الخوف .

سمعتها تقول فى حال الحب :

حبيب ليس يعدله حبيب ولا لسواه فى قلبى نصيب

حبيب غاب عن بصرى وشخصى ولكن عن فؤادى ما يغيب

وسمعتها فى حال الأنس تقول :

ولقد جعلتك فى الفؤاد محدثى وأبحت جسمى من أراد جلوسى

فالجسم منى للجليس مؤانس وحبيب قلبى فى الفؤاد أنيسى

وسمعتها فى حال الخوف تقول :

وزادى قليل ما أراه مبلغى أللزاد أبكى أم لطول مسافتى ؟

أتحرقنى بالنار يا غاية المنى فأين رجائى فيك ؟ أين محبتى ؟

محبتى : مخافتى

* حب الإخوان

يقول أحمد بن أبى الحوارى :

تقول رابعة :

إنى لأضن ـ أبخل ـ باللقمة الطيبة أن أطعمها نفسى ، وإنى لأرى ذراعى قد سمن فأحزن .

وربما قلت لها :

ـ أصائمة أنت اليوم ؟

فتقول :

ـ ما مثلى يفطر فى الدنيا .

وربما نظرت إلى وجهها ورقبتها فيتحرك قلبى على رؤيتها ما لا يتحرك مع مذاكرتى أصحابنا فى أثر العبادة .

فقالت رابعة بنت إسماعيل لزوجها أحمد بن أبى الحوارى :

ـ لست أحبك حب الأزواج ، إنما أحبك حب الإخوان ، وإنما رغبت فيك رغبة فى خدمتك ، وإنما كنت أحب وأتمنى أن يأكل مالى مثلك ومثل إخوانك.

* إذا اغتممت منها زادت

تقول رابعة بنت إسماعيل :

كان عبد الرحمن بن أحمد بن عطية العنسى ـ أبو سليمان الدارانى ـ أستاذ زوجى أحمد بن أبى الحوارى فشكا أحمد بن أبى الحوارى إلى أبى سليمان ذات يوم الوسواس فقال :

ـ إنى أرى ذلك قد غمك يا أبا الحسن ، إن أردت أن ينقطع عنك ـ الوسواس ـ فإن أحسست بها فافرح بها ، فإنك إذا فرحت بها انقطع عنك ، فإنه ليس شىء أبغض إليه ـ الشيطان ـ من سرور المؤمن ، وإن اغتممت منها ـ الوسواس ـ زادت .

وتقول رابعة بنت إسماعيل :

سأل المعلم ذات يوم تلميذه :

ـ يا أحمد : من أى وجه أزال العاقل اللائمة عمن أساء إليه ؟

قال أحمد بن أبى الحوارى :

ـ لا أدرى .

قال أبو سليمان الدارانى :

ـ من أنه علم أن الله تعالى هو الذى ابتلاه به .

يقول أحمد بن أبى الحوارى :

كانت لرابعة بنت إسماعيل سبعة آلاف درهم فأنفقتها على .

وكانت إذا طبخت قدرا قالت :

ـ كلها يا سيدى فما نضجت إلا بالتسبيح .

وقالت لى :

ـ لست أستحل أن أمنعك نفسى وغيرى ، اذهب فتزوج .

فتزوجت ثلاثا .

وكانت رابعة بنت إسماعيل تطعمنى اللحم وتقول :

ـ اذهب بقوتك إلى أهلك .

وكنت إذا أدرت جماعها نهارا قالت :

ـ أسألك بالله لا تفطرنى اليوم .

وإذا أردتها بالليل قالت :

ـ أسألك بالله لما وهبتنى لله الليلة .

* إذا سمعت الأذان

يقول تلميذ أبى سليمان الدارانى :

سمعت رابعة بنت إسماعيل تقول :

ما سمعت الأذان إلا ذكرت منادى القيامة .

ولا رأيت الثلج إلا رأيت تطاير الصحف .

ولا رأيت الجراد إلا ذكرت الحشر .

وقال أحمد بن أبى الحوارى :

سمعت رابعة تقول :

ربما رأيت الجن يذهبون ويجيئون ، وربما رأيت الحور العين يستترون منى بأكمامهن. وأشارت بيدها على رأسها .

ويقول أحمد بن أبى الحوارى :

ـ دعوت رابعة فلم تجبنى .

فلما كان بعد ساعة أجابتنى وقالت :

ـ إنما منعنى من أن أجيبك أن قلبى قد كان امتلأ فرحًا بالله ، فلم أقدر أن أجيبك .

* أتحبين الموت ؟

تقول رابعة بنت إسماعيل :

قال أبو سليمان الدارانى ذات يوم لأم أمير المؤمنين هارون الرشيد :

ـ أتحبين الموت ؟

قالت :

ـ لا .

قال أبو عبد الرحمن :

ـ لم ؟

قالت أم الرشيد :

ـ لو عصيت آدميا ما اشتهيت لقاءه . . فكيف أحب لقاءه وقد عصيته ؟

فقال أبو سليمان الدارانى :

ولو كانت الدنيا تدوم لواحد لكان رسول الله فيها مخلدا

* أين السمكة ؟

وتقول رابعة بنت إسماعيل :

قال أبو سليمان الدارانى :

رأيت صيادا يصطاد السمك على بعض السواحل وإلى جنبه ابنة صغيرة له ، وكلما اصطاد سمكة وضعها فى دوخلة ـ الدوخلة : بفتح الدال والخاء وتشديد اللام ويجوز تخفيفها : وعاء من خوص كالزنبيل يوضع فيه التمر والزاد ونحوهما ـ معه ، وكانت ابنته كلما وضع سمكة فى الدوخلة ردتها إلى الماء ، فالتفت الصياد فلم ير شيئًا فى الدوخلة .

فقال الصياد لابنته :

ـ أى شىء عملت بالسمك ؟

فقالت :

ـ يا أبى أليس سمعتك تروى عن النبى ﷺ أنه قال : لا تقع سمكة فى شبكة إلا أغفلت عن ذكر الله ؟

فلم أحب أن نأكل شيئًا غفل عن ذكر الله تعالى .

يقول أبو عبد الرحمن :

فبكى الصياد ، ورمى بالصنارة .

* الأنس بالله

تقول رابعة بنت إسماعيل :

قال أحمد بن أبى الحوارى :

انقطع إلى الله وكن عابدًا زاهدًا صادقًا متوكلا مستقيمًا عارفًا ذاكرًا مؤنسًا مستحبًا خائفًا راجيًا راضيًا .

وعلامة الرضا : أن لا يختار شيئًا إلا ما يختاره له مولاه ، فإذا كان ذلك كذلك كان له من الله عونا حتى يرده إلى طاعته ظاهرًا أو باطنًا ، ولا يكون العبد تائبًا حتى يندم بالقلب ويستغفر باللسان ويرد المظالم فيما بينه وبين الناس ، ويجتهد فى العبادة ثم يتشعب له من التوبة والاجتهاد الزهد ، ثم يتشعب له من الزهد الصدق ، ثم يتشعب له من الصدق التوكل ، ثم يتشعب له من التوكل الاستقامة ، ثم يتشعب له من المعرفة الذكر ، ثم يتشعب له من الذكر الحلاوة والتلذذ ، ثم بعد التلذذ الأنس ، ثم بعد الأنس بالله الحياء ، ثم بعد الحياء الخوف .

وعلامة الخوف : الاستعداد والتحويل من هذه الأحوال ، لا يفارق خوف تحويل هذه الأحوال من قلبه دون لقائه .

* فى سفر التوارة الرابع

وتقول رابعة بنت إسماعيل :

قال أبو الحسن :

قرأت فى سفر التوراة الرابع أن الله تعالى يقول :

أنا الله لا إله إلا أنا عينى على كل شىء ، أرى النمل فى الصفا وأرى وقع الطير فى الهواء .

وأعلم ما فى القلب والكلى .

وأعطى العبد على ما نوى .

أى شىء يقال لمثلى ومثلك ؟

وقرأ أبو الحسن فى بعض الكتب أن الله عز وجل أوحى إلى موسى وعيسى

عليهما السلام :

يا موسى وعيسى : من أجل دنيا دنيئة وشهوة رديئة تفرطان فى طلب الآخرة ؟

يا موسى ويا عيسى : حتى متى أطيل النسيئة وأحسن الطلب ؟

النسية : انسأ أجله : أخره ، ينسأ : يؤخر .

* قالوا عن أحمد بن أبى الحوارى :

تقول رابعة بنت إسماعيل :

* قال الجنيد بن محمد بن الجنيد :

ـ أحمد بن أبى الحوارى ريحانة الشام .

* وقال يحيى بن معين لما ذكر أحمد بن أبى الحوارى :

ـ أظن أهل الشام يسقيهم الله الغيث به .

* وقال محمود بن خالد :

ـ ما أظنه بقى على وجه الأرض مثله .

* من أقوال أحمد بن أبى الحوارى

تقول رابعة بنت إسماعيل :

كان أبو الحسن يقول :

* من كانت نيته العافية ملأ الله حضنه العافية .

* من نظر إلى الدنيا نظرة إرادة وحب لها أخرج الله نور اليقين والزهد من قلبه .

* لا دليل على الله سواه ، وإنما يطلب العلم لآداب الخدمة .

* من عرف الدنيا زهد فيها ، ومن عرف الآخرة رغب فيها ، ومن عرف الله آثر رضاه ، ومن لم يعرف نفسه فهو من دينه فى غرور .

* إذا حدثتك نفسك بترك الدنيا عند إدبارها فهو خدعة ، وإذا حدثتك نفسك

بتركها عند إقبالها فذاك .

* سبحان من لا يمنعه عظيم سلطانه أن ينظر فى صغير سلطانه .

* من كانت همته فى أداء الفرائض لم يكمل له فى الدنيا لذة .

* قال الله تعالى : لو أن ابن آدم لم يرج غيرى ما وكلته إلى غيرى .

* خف الله يلهمك ، واعمل له لا يلجئك إلى دليل .

* قيل لموسى عليه السلام : يا موسى : إنما مثل كتاب أحمد ﷺ فى الكتب بمنزل وعاء فيه لبن كلما مخضته أخرجت زبدته .

* إذا دخلت القبر ومعك الإسلام فأبشر .

قنعت بعلم الله ذخرى وواجدى بمكتـــوم أسرار تضمنهـا قلبـــى

فلو جاز ستر الستر بينى وبينـه إلى القلب والأحشاء لم يعامها سرى

* إن الله إذا أحب قومًا أفادهم فى اليقظة والمنام .

* الدنيا مزبلة ومجمع الكلاب ، وأقل من الكلاب من عكف عليها ، فإن الكلب يأخذ منها ـ المزبلة ـ حاجته وينصرف ، والمحب لها ـ الدنيا ـ لا يزايلها ـ لا يتركها ـ بحال .

* من أحب أن يعرف بشئ من الخير أو يذكر به فقد أشرك فى عبادته ، لأن من عبد على المحبة لا يحب أن يرى خدمته سوى مخدومه .

* كلما ارتفعت منزلة القلب كانت العقوبة إليه أسرع .

المراجـــــع

المراجـــــع

* القرآن العظيم
* الجامع لأحكام القرآن — القرطبى
* تفسير الطبرى
* تفسير القرآن العظيم — ابن كثير
* كنز العمال — الهندى
* أعلام النساء — محمد رضا كحالة
* صفة الصفوة — ابن الجوزى
* رابعة العدوية — عبد العزيز الشناوى
* تاريخ ابن خلكان
* صغار الصحابة وكبار التابعين — عبد العزيز الشناوى
* صحيح البخارى
* المعجم الكبير — الطبرانى
* شعب الإيمان — البيهقى
* سنن أبى داود

* الجامع الصحيح	الترمذى
* مروج الذهب	المسعودى
* مواقف ومواعظ من حياة التابعين	عبد العزيز الشناوى
* السنن الكبرى	البيهقى
* صحيح ابن حبان	
* المسند	الإمام أحمد